الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له وللشارح وللسامعين في كتابه مسائل الجاهلية :

المسألة السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلى غيرة ، كقوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] .

****

قال رحمه الله : «**المسألة السابعة والأربعون**» أي من مسائل الجاهلية «**إضافة نعم الله إلى غيره**» ؛ إضافة نعم الله من صحةً أو مالٍ أو ولدٍ أو غير ذلك من النعم التي يُمن الله تبارك وتعالى بها على عباده ، والنعم كلها منَّة الله كما قال جل وعلا: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨] ، وكما قال جل وعلا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] ، فالنعم كلها نعمه سبحانه ؛ فهو المنعم الكريم المعطي المنان الجواد سبحانه وتعالى. فمن جاهليه أهل الجاهلية نسبة النعم إلى غير المنعم ؛ نسبة النعم إلى من جعله الله سبحانه وتعالى سبباً في حصولها أو أيضا من لم يجعل الله سببا في حصولها ، وينسون فضل الله سبحانه وتعالى ومنَّه وتوفيقه وتيسيره .

وأورد رحمه الله شاهد ذلك ودليله قول الله عز وجل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ، وهذه الآية جاءت قريبا من أواخر سورة النحل ، وسورة النحل يسميها بعض أهل العلم «سورة النعَم» لكثرة ما عدَّد الله سبحانه وتعالى فيها من نعمه على عباده بأنواع النعم المتعلقة بالمسكن والمأكل والمشرب والملبس.. وغير ذلك من نعمه تبارك وتعالى الكثيرة على عباده ، فعدد جل وعلا في سورة النحل من نعمه مالم يعدَّد في سور أخرى ولهذا يسميها بعض أهل العلم «سورة النعم» ، في تمام ذكره لهذه النعم قال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:٨١] أي لله جل وعلا ، وأيضاً قال في تمام هذه النعم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يعرفون أنها من الله في قرارة نفوسهم، وأنه تبارك وتعالى هو المنعم بها والمتفضل ، لكن ينكرون نعمه الله بنسبتها إلى غيره ، مثل أن يقول قائلهم عندما يحظى بنعمة " إنما أوتيته على علم" ، أو يقول "ورثته كابر عن كابر" ، أو يقول "هذا بجدارتي وعرق جبيني وهذا بحذقي" ، أو يقول "أنا أهل لذلك" أو نحو ذلك ؛ فهذا كله داخل في قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ .

قول القائل "إنما أوتيته على علم" ، أو "هذا بحذقي وشطارتي وجدارتي" أو "أنا حقيق به" أو "ورثته كابرًا عن كابر" أو نحو ذلك كله داخل تحت قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ؛ يعرفون أنه هو المنعم ولكن ينكرونها بنسبتها إما إلى ما جعله الله سبحانه سببا لوجودها أو إلى ما لم يجعل تبارك وتعالى سببًا لوجودها ، مثل قولهم "مطرنا بنوء كذا وكذا" و النوء ليس سبب للمطر ، سبب المطر الافتقار إلى الله واستغفاره والتوبة إليه وفعل الطاعات ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[نوح:١٠-١٢] .

ولهذا كما أن المسلم مطالباً أن يصون عقيدته مما يفسدها أو ينقضها فكذلك فهو مطالبٌ أن يصون ألفاظه من كل أمر يُخل بالإسلام لله وقدره تبارك وتعالى حق قدره ومعرفة منّه وفضله جل وعلا على العباد ، فكما أن القلوب تصلح أيضا الألسنة ينبغي أن تُصلح وتصان ، فإذا منَّ الله تبارك وتعالى على عبده بنعمة وتفضل عليه بعطية عليه أن يذكر نعمة الله عليه ، قد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن الله ليَرضى عن عبده أن يأكل الأَكلة فيَحمده عليها، ويشرب الشَّربة فيحمده عليها)) ، يعرف أن هذه الشربة وهذه الأكلة وهذا الملبس وهذا المسكن نعمته جل وعلا فيحمد الله فيرضى عنه ربه سبحانه . قد كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه قَالَ : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، وَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مَأْوِي)) ، يذكر نعمة الله عليه قبل أن ينام ، المسلم يذكر نعمه الله عليه .

فذكر النعمة والاعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى على عبده وحمده جل وعلا وشكره على نعمه هذا الذي يتحقق به إيمان المسلم ، أما إذا كان ينسب النعمة إلى غير المنعم بها فهذا من كفران النعم وهو داخلٌ في ما كان عليه أهل الجاهلية فيما أشير إليه في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله .

****

قال رحمه الله تعالى : «**الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله**» أي عـدم الإيمان بها ؛ بجحدها وعدم قبولها وعدم قبول ما تضمنته من الهدى والفلاح وسعادة الناس في الدنيا والآخرة . فكان من صنائع أهل الجاهلية الكفر بآيات الله وهي كلامه ووحيه تبارك وتعالى المنزل على أنبيائه ورسله ، ثم ماذا عندما يكفرون بآيات الله بأي شيء يؤمنون؟ تجدهم يؤمنون بالخرافة والضلال والأهواء والباطل ، ويدعون النور الذي جاء في آيات الله تبارك وتعالى ؛ وهذه جاهليه جاهلية جهلاء ، لا يؤمنون بآيات الله يكفرون بها وفيها عزهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

، ويؤمنون بالخرافة والأوهام والشعوذة وكتب السحر والكتب المظلمة ، يؤمنون بها ويقبِلون عليها، وكلام الله تبارك وتعالى وآياته ووحيه وتنزيله هذه لا يومنون بها بل يكذبون ويجحدون .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والأربعون : جحد بعضها.

****

«**التاسعة والأربعون جحدُ بعضها**» أي انه لا يجحدها كاملة وإنما يجحد بعضها ، ولاسيما إذا كان هذا البعض يخالف هواه ولا يوافق ما يُريد وما يتوجه إليه ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في شأن اليهود : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥] ؛ فيؤمن ببعض آيات الكتاب ويجحد بعضًا ، يؤمن منها بما يوافق هواه ، ويجحد منها ما كان مخالفًا لهواه ولتوجهُهِ ؛ فهذا أيضا من الجاهلية لأن الآيات كلها كلام الله وكلها حق وهدى وسعادة وفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة ، فكونه يؤمن ببعضها ويجحد بعضها هذا تفريقٌ بين متماثل ، كلها حق وكلها هدى وكلها ضياء ونور فما الذي يجعله يؤمن ببعض ويكفر ببعض والكل حق وهدى!! ما الذي فرَّق بين ما آمن به وما لم يؤمن به ؛ فهذا كله من دلائل جاهلية هؤلاء .

قال رحمه الله تعالى :

الخمسون : قولهم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] .

****

الخمسون من مسائل الجاهلية: «**قولهم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾**» ؛ وهذه قالها اليهود جحداً لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وما بعثه الله تبارك وتعالى به من الحق والهدى ، لما جاء عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم كلام رب العالمين ووحيه وتنزيله سبحانه وتعالى قال اليهود ردًا لذلك وتكذيبًا به ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ . ولاحظ كلمه هؤلاء الأفاكين المفترين! لم يقولوا فقط هذا الذي جئت به لم وادَّعيتَ أنه منزل من الله لم ينزل من الله ، بل قالوا هذا الكلام العام قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ مطلقا ؛ فهذا جحدا للكتب المنزلة كلها ، وهذا يشمل أيضا التوراة التي يدَّعون الانتساب إليها وأنهم من أهلها ، ولهذا جاء في السياق نفسه ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ ؛ التوراة التي تدَّعون أنكم تؤمنون بها من

الذي أنزلها ؟ فـهم يقولون في ردهم وتكذيبهم للوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ ؛ وهذه الكلمة فيها جحد لـجميع الكتب المنزلة . والإيمان بكتب الله أصلٌ من أصول الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى:١٥] أي آمنتُ بكل كتاب أنزله الله على كل رسول ، وهؤلاء قالوا ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ جحد للكتب المنزلة كلها ، وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٦] ؛ «أل» في قوله : ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ للاستغراق ؛ أي جميع الكتب المنزلة من قبل ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فجحد الكتب المنزلة وعـدم الإيمان بها كفرٌ بالله تبارك وتعالى ؛ لأنها كتب الله فمن كفر بها فهو كافر بالله تبارك وتعالى .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] .

****

المسالة الحادية والخمسون من مسائل الجاهلية: «**قولهم**» أي أهل الشرك وأهل الجاهلية «**في القرآن**» أي في كلام الله تبارك وتعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلـم قولهم **﴿إِنْ هَذَا﴾** أي القرآن ﴿إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي ليس كلام الله ، وليس منزلًا من الله تبارك وتعالى ، ولم يتكلم الله تبارك وتعالى به ، بل هو قول البشر ، أي هذا كلام قاله بشر لم يقُله الله تبارك وتعالى وإنما قاله بشر أي قاله احد الناس ، والنبي صلى الله وسلم لم يأتِ به من الله تبارك وتعالى. وهذا كفر وجاهلية جهلاء كان عليها هؤلاء ؛ قالوا ذلك جحدا للحق ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ . وهذا الزعم زعم متكرر من أهل الجاهلية في رد الوحي ، عندما يقولون ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي أن هـذا مخلوق من مخلوقات الله ليست صفةً من صفاته وليس من كلامه تبارك وتعالى ؛ وهذا يؤدي إلى رد الوحي وامتهانه وعدم قبوله ، بخلاف ما إذا آمن الإنسان بأنه وحـي الله وتنزيله وكلامه فإن هذا يورث الإنسان تعظيم الكـلام والعناية به وقدره حق قدره ؛ فكان من جاهلية هؤلاء المتكـررة عبر التاريخ الادِّعاء بإن الوحي المنزل من الله تبارك وتعالى ليس من كلام الله .

ولهذا في القرآن ورد في سياق تكذيب بعض أمم الأنبياء لأنبيائهم قولهم للأنبياء: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧] وفي قراءه ﴿إِلا خَلْقُ الأَوَّلِينَ﴾ ، مثل قول الوليد هنا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي مخلوق ليس من كلام الله تبارك وتعالى .

فالقول بأن القرآن مخلوق هذه جاهلية ميراث موروث من أهل الجاهلية ، الذي يقول أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله تبارك وتعالى هذه تركة وُرثت من أهل الجاهلية ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((لتتبعُن سَنَنَ من كان قبلكم)) ، ويوجد في المنتسبين للإسلام من يدَّعون ذلك ؛ يدَّعون أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام وأنه إما عبارة عن كلام الله أو حكايةٌ عنه ، وأن الله بزعمهم -تعالى عما يقولون- لا يتكلم ، فهذا كله جاهلية وضلال وإفك وقول على الله تبارك وتعالى بلا علم .

فالقرآن كلام الله ، قال عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦] ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ، فالقرآن كلام الله ، والتوراة كلام الله ، والإنجيل كلام الله ، ولا يزال رب العالمين يتكلم متى شاء بما شاء كلامًا يليق بجلاله وكماله وعظمته ، وكما أنه سبحانه وتعالى له ذاتٌ لا تشبه الذوات فهو تبارك وتعالى له صفات تليق بجلاله وكماله منها الكلام لاتشبه الصفات ، فنؤمن بذلك ونقر به ونثبت لربنا تبارك وتعالى الكلام ونقول : إن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى منه بدأ وإليه يعود ، قال عز وجل ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بلسان عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] ، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:٢] ، فهو من الله هو الذي تكلم به جل وعلا . فمن قال في القرآن غير ذلك فهذه جاهلية ، والله عز وجل توعد في هذا السياق من قال هذا القول الآثم والكلام الباطل ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ توعده تبارك وتعالى بقوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ [المدثر:٢٦-٢٨] إلى آخر الآيات .

قال رحمه الله :

الثانية والخمسون : القدح في حكمة الله تعالى .

****

«**الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى**» وهذا من الجاهلية ؛ الزعم بأن مشيئة الله وأفعاله سبحانه وتعالى تصدر عن غير حكمة ، فينفون الحكمة في أفعاله جل وعلا ، وهذا من الجاهلية لأنه تبارك وتعالى لا يفعل شيء إلا عن حكمة ، وهو تبارك وتعالى حكيمٌ من أسمائه «الحكيم» الذي له الحكمة البالغة جل وعلا في كل أفعاله ،

ولا يفعل شيئا إلا عـن حكمة ، خلق الخلق لحكمة ، وأوجد هم لحكمة ، وشرع الشرائع لحكمة وأمر بالأوامر ونهى عن النواهي لحكمة ، لا يأمر بشي إلا وفيه مصلحة ونفع للعباد ، ولا ينهى عن شيء إلا فيه مضرة على العباد. أفعاله وأوامره ودينه كل ذلك صادر عن حكمة . فمن جاهلية أهل الجاهلية ومَن أخذ بسنة أهل الجاهلية من فِرق الضلال نفي الحكمة عن الله ، قد وُجد في بعض الفرق المنتسبة للإسلام نفي الحكمة ويقولون إن الله عز وجل يفعل بمشيئة يخلق ويوجِد ونحو ذلك لا عن حكمة ، فينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله تبارك وتعالى . وهذه جاهلية جهلاء .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والخمسون : إعمال الحيَل الظاهرة والباطنية في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤] ، **وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءاخِرَهُ﴾** [آل عمران:٧٢] .

****

قال رحمه الله : «**المسألة الثالثة والخمسون : إعمال الحيل الظاهرة والباطنية في دفع ما جاءت به الرسل**» وهذه من طرائق أهل الجاهلية يحتالون على الشرائع وعلى ما جاءت به الأنبياء ويبحثون عن دفعه وردِّه بأنواع الحيل ، وكلما أُمروا بأمر أرادوا أن يتفلتوا منه وأن يتخلصوا منه بأي حيلة وبأي طريق . ومن أكثر الأمم فعلا للحيل اليهود، وهم أهل مكر أهل مكر كبار ، وأهل احتيال واسع للتخلص من الشرائع والتنصل مما يأمرهم الله تبارك وتعالى به ، فأهل حيل كثيرة جداً مرادهم بها التخلص من أوامر الله تبارك وتعالى . والله عز وجل ذكر شيئا من حيل هؤلاء على وجه التحذير للأمة من أن يفعلوا مثل فعلهم ، مثل مـا ذكـر تبارك وتعالى من نهيه لهم عن اصطياد الأسماك في يوم السبت ، فلما نهاهم عن ذلك احتالوا ، فكانوا يضعون الشباك في البحر يوم الجمعة ويأخذونها يوم الأحد ، وهذه من حيل اليهود ، والله عز وجل لما نهاهم عن الاصطياد يوم السبت ابتلاهم ؛ فأصبح الصيد يكثر كثرةً مغرية يوم السبت ويفتقدونه في الأيام الأخرى ، فاحتالوا على شرع الله سبحانه وتعالى فكانوا يضعون الشِباك يوم الجمعة ويأخذونها ممتلئة بالأسماك يوم الأحد ، وهم بزعمهم أنهم لم يباشروا صيداً يوم السبت . وهذا الذي ابتلى الله سبحانه وتعالى به اليهود ابتلى به أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فهو جل وعلا نهاهم عن الصيد وهم حُرم ، فكان الصيد يأتي تناله رماحهم وأيديهم ، يأتي الصيد وهم من أهل الصيد ويحبون الصيد وتتوق نفوسهم للصيد فنهاهم الله عز وجل عن الصيد فابتلاهم الله أن تنال الصيد رماحهم وأيديهم ، حتى لو بيده يريد أن يمسكه يستطيع ، فما كانوا يتعرضون له. فرق بين أهل الإيمان والصدق مع الله

تبارك وتعالى ، وبين أهل المكر والاحتيال والكيد.

فالمكر والاحتيال والكيد هذه جاهليو ومن طرائق أهل الجاهلية ، أما المؤمن فإنه يتلقى أوامر الله سبحانه وتعالى بالقبول والانقياد والاستسلام ، ولا يحتال على أوامر الله تبارك وتعالى ، ولا يبحث لنفسه عن حيل يُمشي بها الأمر ويتعدى بها حدود الله تبارك وتعالى . وهذا الاحتيال يدخل على نفس الإنسان عندما تُريد أن تتفلت من الأوامر وتتخلص منها فيبدأ يبحث عن الحيل التي يتخلص فيها بزعمه من أمر الله تبارك وتعالى .

قال : «**كقوله ﴿ومكرُوا ومكَرَ اللهُ﴾**» وهذه الآية جاءت في سياق بيان حال اليهود ومكرهم الكبار في التفلُّت من أوامر الله تبارك وتعالى والتخلص من شرائعه وما يأمر به تبارك وتعالى عباده بالمكر ؛ أي بالاحتيال وأنواع التلبيس الذي يريدون به التخلص مما يأمرهم الله به تبارك وتعالى به .

قال:«**وقوله ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءاخِرَهُ﴾**» وهذه أيضا داخلة فيما سبق من احتال اليهود ومكر اليهود وسعيهم أيضا في نشر الباطل ، يحتالون مثل هذه الحيل من أجل نشر الباطل ورد الحق . وماذا يقصد هؤلاء بهذه الطريقة ﴿ ءامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءاخِرَهُ﴾ماذا يقصدون بذلك؟ لأنهم بهذه الطريقة يريدون خلخلة أهل الإيمان وإدخال الشكوك عليهم ، مثل أن يأتي مجموعة من هؤلاء أهل الكتاب ويدخلون في الإسلام ويقولون اقتنعنا أنه الدين الحق وآمنا ، في الصباح الباكر يأتون ويقولون نحن اقتنعنا بأن دينكم دين الحق وأنه من الله وأن فيه الهدى وها نحن نعلن إيماننا ونعلن إسلامنا ؛ هذا في أول النهار كذبا ليس عن قناعة ولاعن صدق ، ثم في آخر النهار يقولون لا ، نحن تبين لنا أن هذا دين غير صحيح وأنه دين كاذب وأنه دين ملفق فنحن نرجع . فهذه الطريقة يسلكها بعض هؤلاء من أجل خلخلة أهل الإيمان وتشكيكهم في الدين ؛ فيبدأ الضعفاء والجهلة يقولون هؤلاء آمنوا وعرفوا الدين واقتنعوا بما فيه ثم في آخر النهار كفروا !! إذا في شيء في هذا الدين ، فيبدأ الشك يدخل على الجهلاء والضعفاء، فهذه حيلة يفعلها هؤلاء من أجل تشيك الناس في دينهم ، يطلبون من بعضهم أو يتواصون على أن يؤمنوا بالكتاب أو يعلن بعضهم الإسلام لوقت معين ثم يرجع ، ومرادهم بهذه الحيلة تشكيك الناس تشكيك أهل الأيمان في دينهم، خلخلة إيمانهم ؛ فهذه كلها من حيل اليهود وحيل أهل الضلال والباطل ، وهذا كله من الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والخمسون : الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعِه ، كما قال في الآية .

****

هذا كالتفصيل لما سبق ؛ من جاهلية هؤلاء «**الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه**» وهذه حيلة يفعلها هؤلاء ليتوصلوا من خلالها إلى دفع الحق ورد الدين الذي بُعث به أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله عليهم صلوات الله وسلامه ، فيحتالون مثل هذه الحيل من أجل أن يتوصلوا من خلالها إلى دفع الحق .

قال: «**الإقرار بالحق**» أي الإقرار الظاهري ظاهراً بالحق ؛ فيعلنون أنهم مثلا أسلموا وأنهم آمنوا بما جاء به الرسول ظاهرا يعلنون ذلك ؛ من أجل أن يتوصلوا إلى دفعه ، كيف يتوصلون إلى دفعه ؟ أي بعد أن يمكثوا فترةً ليست بطويلة مقرين بالحق معلنين الدخول فيه يعلنون بعد ذلك رجوعهم ، مجموعة منهم تعلن الإقرار بالحق ثم بعد وقتٍ ليس بالطويل يعلنون رجوعهم عن الحق . ومرادهم مرادهم أصلا بالدخول والإقرار ومن ثم الرجوع مرادهم بذلك كله دفع الحق ، طريقه يفعلونها واحتيال يحتلونه من أجل دفع الحق ورده وإدخال الشك على أهله .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله فيها: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران:٧٣] .

****

قال : «**الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب**» أي المذهب الذي هم عليه والمسلك الذي يسلكونه بعجره وبُجره وكيفما كان ، ولو كان كله أهواء وكله ضلال وكله باطل يتعصبون له تعصبًا أعمى ولا يحيدون عنه قيد أنمله بل يتمسكون به وينافحون عنه ويدافعون متعصبين له تعصبًا أعمى. لهذا وضعوا قاعدة لأنفسهم يعلنون فيها تعصبهم لمذهبهم ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ؛ أي لا تقبلوا من أحد مهما يقول لكم ، حتى لو ما كان يقوله حق بيّن ونور واضح ، لا تقبلوا من أحد إلا لمن تبع دينكم ؛ أي من كان معكم على دينكم وعلى مذهبكم اقبلوا منه ، أما من لم يكن كذلك إياكم أن تأخذوا منه حرفًا واحدا أو تقبلوا منه شيئا.

فهذا من الجاهلية ؛ الحق أحق أن يُتبع ، والواجب على صاحب الحق أن يقبل الحق أينما وجده ، فالتعصب الأعمى جاهلية كان عليها أهل الضلال والباطل وجاء الإسلام بإبطال ذلك ودعوة الناس إلى الإيمان بالحق وإلى التفكر ، وإلى الخروج من ربقة التقليد الأعمى والتعصب الأعمى ، والنظر في الأمور والوقوف عند الأدلة والحجج، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالسؤال بالهداية ، قد كان نبينا عليها الصلاة والسلام يقول في استفتاحه لصلاة الليل: ((اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، أهدني لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والخمسون : تسميه اتباع الإسلام شركًا كما ذكره في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٩] .

****

قال : «**المسألة السادسة والخمسون: تسميه إتباع الإسلام شركا**» أي شركا بالله عز وجل . وهذه من الأمور التي فعلها أهل الجاهلية لرد الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وذكر المصنف رحمه الله تعالى شاهداً لهذه الجاهلية قال : «**كما ذكره الله تبارك وتعالى في قوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**» وقد ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى في كتب التفسير في سبب نزول هذه الآية : أن نصارى نجران لما أتوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ودعاهم إلى الإيمان ووضَّح لهم الدين وبيَّن لهم ما بُعث به صلاة الله وسلامه عليه ، وأن دين الأنبياء واحد كلهم دعاة إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له ، لما دعاهم إلى ذلك وبيَّن لهم عليه الصلاة والسلام هذا البيان قالوا : أنت تريد منا أن نعبدك ؛ فسمَّوا الذي دعاهم إليه عليه الصلاة والسلام من التوحيد والاستسلام لله والانقياد له وتحقيق توحيده تبارك وتعالى «شركا» ، فقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام أنتَ تريد منا أن نعبدك ، وعبادة المخلوقين من دون الله شرك بالله . ولهذا أنزل الله سبحانه وتعالى في إبطال دعوى هؤلاء مُبرئًا رُسله كلهم من ذلك فقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، فالرسول مبرءون من ذلك، منزهون من أن يقولوا مثل هذه المقالة .

وبهذا يُعلم الفساد العريض الواسع الذي يقع فيه بعض من ينتسب إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام ثم يتخذه معبودًا من دون الله يصرف له أنواع العبادة ؛ يدعوه ويستغيث به ويلتجئ إليه ويطلب منه المدد والعون ، فهذا كله مناقض تمام المناقضة لهذه الآية ، ومناقض تمام المناقض للإسلام الذي بُعث به عليه الصلاة والسلام ، لأنه بعث بما بُعث به جميع الأنبياء من إخلاص الدين لله وأفراده تبارك وتعالى بالعبادة وأن العبادة لا يُصرف منها شيء منها لأحدٍ كائن من كان ، لا لنبي مرسل ولا ملك مقرب ولا لغيرهما من مخلوقات الله تبارك وتعالى ، لأن العبادةً حق لله عز وجل لا يُصرف شيء منها إلا له عز وجل.

قال رحمه الله تعالى:

السابعة والخمسون: تحريف الكلم عن مواضعه .

****

المسألة السابعة والخمسون : «**تحريف الكلم**» أي كلام الله سبحانه وتعالى «**عن مواضعه**» أي التي أنزل عليها ، وكلام الله تبارك وتعالى أنزل مشتملا على الحق والنور والهدى والضياء ، وقد سلك أهل الجاهلية في رد كلام الله سبحانه وتعالى المشتمل على الحق والنور مسالك كثيرة من أجل رده ، منها التحريف ؛ تحـريف الكلم عن مواضعه، ولهذا قال سبحانه وتعالى في ذمه لليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣] .

والتحريف: هو التغيير والتبديل ، ويكون التحريف بتغيير الألفاظ ، ويكون أيضاً بتغير المعاني .

- يكون التحريف بتغيير الألفاظ : أي يغيروا ألفاظ كلام الله ، مثل ما صنع اليهود في تحريف التوراة ، حرفوها تحريفاً واسعا وغيروا فيها وكتبوا أشياء بأيديهم وزعموا أنها من كلام الله وزادوا ونقصوا وبدلوا وغيروا في كلام الله ، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي يبدلونه بتغيير ألفاظه .
- أو يبدلونه بتغيير معانيه ومدلولاته ؛ ومن أمثله على تحريف اليهود: أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم أن يقولوا حطِّه أي حُط عنا خطايانا وأن يدخلوا الباب سجدًا حرفوا ذلك فزادوا نونًا قالوا حنطة أي حبه من حنطه ، فتغير المعنى وتغير المدلول وفسد المراد ، لأنهم قيل لهم قولوا حطة أي حط عنا خطايانا فزادوا نون قالوا «حنطة» تحريفًا للكلم ، وقال ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فدخلوا الباب على آساتهم على ظهورهم ؛ كل ذلك مخالفه وتغيير وتبديل لما أمرهم الله تبارك وتعالى به .

فهذا من الجاهلية ؛ سواء تحريف الألفاظ أو تحريف المعاني . وهذه السنة التي كان عليها اليهود وُجِد أيضاً في المنتسبين إلى محمد عليه الصلاة والسلام وإلى دين الإسلام من سلكُوا هذا المسلك . وتحريف ألفاظ القران غير مستطاع ، الله عز وجل حفظ القرآن وصانه عن ذلك ، فاشتغلوا بتحريف المعاني ، وقيَّض الله سبحانه وتعالى من الأئمة العدول علماء الإسلام من ينفون عن كلام الله تحريف المبطلين وتأويل الجاهلين ، فوُجد من يحرف في الكلام ويبدل ويغير ويحمل القرآن على غير معناه وعلى غير مدلوله ، سواء في صفات الله تبارك وتعالى أو في أمور الدين الأخرى بين مقلٍّ أو مستكثر ، ومن يقرأ دين الباطنية يري تحريفًا لمعاني كلام الله تبارك وتعالى شنيعًا عجيبًا فيه إلغاء للشـرائع والعقائد ولكل ما جاء عن الله تبارك وتعالى ، لأن كل شيء من كلام الله له تفسير عندهم على ما يهووه، وهكذا أهل الباطل مـن أصحاب العقائد الفاسدة أيضاً يشتغلون بالتحريف؛ تحـريف الأسماء وتحريـف الصفات وتحريف ما لا يوافق أهواهم من كلام الله تبارك وتعالى ، فهذا كله من الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والخمسون: لَيّ الألسنة بالكتاب .

****

قال المسألة قال الثامنة والخمسون : «**لي الألسنة بالكتاب**» يلـوون ألسنتهم بالكتاب أي يحركونها به ليُظن أنهم من أهل الكتاب ، وهم ليس مـن أهل الكتاب ولكن هذا المسلك سلكه هؤلاء ليُظن أنهم من أهل الكتاب ومـن ثم يتوصلوا إلى ما يريدونه من باطل وإلى مـا يريدونه مـن ضلال ؛ فهدا أيضاً مـن أعمال الجاهلية ، يحرك لسانه بالكتاب تلاوةً ترتيلا ليُظن انه من أهل الكتاب وهو ليس من أهله .

بل مما يُذكر وهو عجيب ما يُذكر : أن بعض المبشرين –أو بعض المنصرين بعبارة أدق– حفظ القران لا لشيء إلا ليشكك الناس وليلبِّس عليهـم وليثير المتشابه في بينهم وليشككهم في دينهم ، فمن ينظر إليه ويـجده يحفظ آيات مـن القران يطمئن إلى ما سيقول ، ثم يجعل هذه منفذًا له لنشر ما عنده من ضلال وباطل . فهذه من طرائق أهل الضلال .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصباة الحشوية .

****

قال : «**التاسعة والخمسون تلقيب أهل الهدى بالصباة**» أي الصابئة «**والحشـوية**» أي أهـل الحشو ، حشو لأمور ليس فيها فائـدة وليس من ورائها طائل ؛ فينبزونهم بالألقاب ، ينبزون أهل الحق بالألقاب فيقولون صابئة أو يقولون حشوية أو يقولون غثاء أو غُثر أو نحو ذلك من الكلمات التي يطلقونها على أهل الحق وأهل الهدى من أجل تنفير الناس عن الحق والهدى ، لما عجزوا عـن مقاومة الحجج والبينات وأفلسوا مـن ذلك لجؤوا إلى حيلة المفلسين وهي: الكذب الرخيص والدعايات الملفقة ؛ هؤلاء صائبة ، هؤلاء حشويه ، هؤلاء نابتة، هؤلاء غثر ، هؤلاء كذا ، ألقاب يطلقونها على أهل الحق والهدى من أجل أن ينفِّروا الناس عنهم . وهذه طريقة موجودة عند أهل الباطل في قديم الزمان وحديثه ؛ إذا أرادوا تنفير الناس عن حقٍ أو هدى موجودًا عند غيرهم لقَّبوا من عنده الحق بالألقاب ليُنفروا عن الحق الذي معه .

قال رحمه الله تعالى :

الستون : افتراء الكذب على الله .

****

قال : «**الستون: افتراء الكذب على الله**» وهذا كثيرٌ عند أهل الباطل ؛ يفترون الكذب على الله سبحانه وتعالى وينسبون إليه افتراءً وكذباً ينسبون إليه ضلالهم وباطلهم وما هم عليه من نحل زائفة وعقائد باطلة ، ينسبونها إلى الله تبارك وتعالى افتراء على الله وكذبا على الله سبحانه وتعالى . قد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا** تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦] . فهؤلاء من طرائقهم الكذب على الله سبحانه وتعالى وذلك بنسبة ما هم عليه من عقائد باطلة وأديان فاسدة إلى الله عز وجل ، يقولون هذا الذي نحن عليه هو دين الله ، يقولون هذا هو من الله ، أو يقولون الله الذي حرم هذا أو الله الذي حلل هذا كذباً وافتراءً على الله سبحانه وتعالى ؛فهذا من مسالك أهل الجاهلية .

والكذب على الرسل الله من الكذب على الله ، لأن الرسل مبلغون عن الله ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) ، ولهذا أهل البدع استغلوا هذا المسلك القبيح الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام من أجل نشر بدعهم ونشر خرافاتهم . وذكرت لكم بعض الأمثلة على ذلك فيما سبق؛ بعض الكذبة من المشركين عبدة الأوثان وعبدة القبور يقول قال صلى الله عليه وسلم (إذا أعيَتكم الأمور فعليكم بأهل القبور) والعياذ بالله . هذا كلام لا يقوله مشرك فضلًا عن يقوله مسلم ، فضلا أن يقوله عالم ، فضلا أن يقوله نبي الله صلى الله عليه وسلم ،النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)) هذا كلامه عليه الصلاة والسلام . أيضاً قول بعض الكذبة من المشركين إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو اعتقدت في حجر نفعك) ؛ هذا كلام المشركين أهل القبور وأهل الشرك وأهل الوثنية. وينزه كل مسلم كل عالم فضلاً عن نبي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام عن مثل هذا الكلام الفاسد الباطل .

فالشاهد أن أهل الجاهلية في قديم الزمان وحديثه من طرائقهم الكذب على الله والكذب على رسُله عليهم صلوات الله وسلامه .

قال رحمه الله تعالى:

الحادية والستون: التكذيب بالحق .

****

«**الحادية والستون : التكذيب بالحق**» يكذبون على الحق ويكذِّبون بالحق ؛ يكذبون على الحق على رب

العالمين، ويكذِّبون بالحق الذي جاءهم من الله تبارك وتعالى يجحدونه ولا يؤمنون به ، فجمعوا بين سوأتين في باب التكذيب :

- الأولى : الكذب على الله بنسبة الأديان الفاسدة الباطلة التي هم عليها إلى الله عز وجل.
- والثانية : التكذيب بما جاءهم من الله يكذِّبون به .

فجمعوا بين سوأتين : تكذيبٌ بالحق الذي جاءهم من الله سبحانه وتعالى، وكذبٌ على الله بنسبه الباطل الذي هم عليه إلى الله تبارك وتعالى ، وكل ذلك جاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والستون: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للملوك كما قالوا ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٢٧]

****

هذا من طريقه أهل الجاهلية ومن مسالك المفلسين من الحجج والبراهين ، لهم مسالك كثيرة منها هذا المسلك الذي ذكره المصنف رحمه الله: « **كونهم إذا غلبوا بالحجة**» أي لم يستطيعوا مقاومته حجة بحجة وبرهان ببرهان «**يلجئون إلى الشكوى للملوك**» كيف يصنعون ؟ يأتون إلى الملك ويقولون له: إن فلان يسعى للإطاحة بملكك ويخطط لأن يكون هو الملك ، وهكذا يلفقون بأشياء ويكذبون أمور من أجل أن يتسلط الملك عليه ، فهذه طريقه من طرائق أهل الجاهلية ، ولهذا قال : «كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك» وطريقتهم في الشكوى متكررة ، ماذا يقولون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تتركهم هكذا يفسدون ويعثون في الأرض فساداً !! حتى ملكك الذي أنت عليه يتضرر من هذا الفساد الذي هم يسعون فيه ، أَتَذَرُ مُوسَىٰ؟! تترك موسى) إلى متى تتركه ؟ يحرضون الملوك حتى يتسلطوا على أهل الحق هذه طريقه من طرائق أهل الجاهلية .

شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله تعالى كان من دعاة الحق وأئمه الهدى ، ولما عجز خصومه من أهل البدع وأهل الضلال وأهل الباطل عن مقاومة الحجج التي معه سلكوا هذه الطريقة ، وذهبوا إلى الوالي وقالوا له مفترين وكاذبين: أن ابن تيمية يخطط أن يكون هو الوالي وأن تكون الولاية له وإلى متى تتركه ؟ فقام الوالي واستدعي ابن تيمه وأخذا يسائله ويحقق معه في هذا الموضوع ، فقال له ابن تيمه رحمه الله «والله إن ملكك هذا لا يساوي عندي فلسين» ، فقال : «والله إني أعلم انك صادق» ؛ رجل معروف بالعلم والاشتغال بالدعوة إلى الله وبالتعليم ولا يفكر أصلا ولا يخطر في باله مثل هذا الأمور .

فالشاهد أن هذا من الطرائق التي يسلكها أهل الباطل وأهل الضلال ؛ الفزع إلى الملوك بالشكوى إليهم وتلصيق التُّهم الافتراءات على أهل الحق .

قال رحمه الله تعالى:

الثالثة والستون : رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الاية .

****

«**رميهم إياهم**» أي دعاة الحق من الأنبياء وأتباع الأنبياء من الدعاة الحق «**بالفساد في الأرض كما في الآية**» أي المتقدمة. فهذا من مسالك أهل الباطل يزعمون أن أهل الحق يفسدون في الأرض، ولهذا قالوا ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ، فزعموا أن موسى وقومه أي الذين كانوا معه على الحق والهدى أنهم من المفسدين في الأرض ، ولهذا بالمقابل لما سعى فرعون لنقض ما جاء به موسى ماذا قال للناس ؟ قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩] يعني لا أهديكم إلى السبيل الذي هو الإفساد الذي عليه موسى ، أهديكم إلى سبيل الرشاد . ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ كلمة في ظاهرة جميله لكنها تحمل الكفر والباطل ؛ وهذه طريقه أهل الباطل ، يلمّعون الشي الذي يدعون إليه ويصفونه بالصفات الجميلة حتى يُقبل ، وأيضا يقعون في أهل الحق كذباً وافتراءً حتى ينفُر الناس منهم ، مثل قولهم عن أهل الحق أنهم مفسدين في الأرض وأنهم من أهل الفساد في الأرض من أجل صد الناس عن الحق الذي معهم .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والستون: رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] وكما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:٢٦] .

****

قال: «**الرابعة والستون رميهم إياهم**» أي رمي أهل الجاهلية أهل الحق «**بانتقاص دين الملك**» هذه من الطرائق «**كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾**» قال أهل الضلال لفرعون منفرين من موسى عليه السلام : أن موسى جاء بدين يريد أن يتوصل به إلى إلغاء ما أنت عليه من الدين الصحيح ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ أي يلغي كل ما أنت عليه من الحق والهدى ، هكذا قالوا لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قالوا ﴿وَيَذَرَكَ

وَآلِهَتَكَ﴾ .

«**وكما قال تعالى** ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾» أي يغير الدين الحق الـذي أنتم عليه . فهذه من طرائق أهل الجاهلية في رد الحق والهدى .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والستون : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية .

****

«**رميهم**» أي أهل الجاهلية «**إياهم**» أي أهل الحق «**بانتقاص آلهة الملك**»

قال :«**كما في الآية**» أي المتقدمة ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ فيقولون هـذا جاء ينتقص من الآلهة ويحط من شأنها ويقلل من قدرها فأيضا جعلوا هذا مسلكًا لهم للتنفير من الحق والصد عنه .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والستون: رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦] .

****

«**رميهم**» أي أهل الجاهلة «**إياهم**» أي أهل الحق «**بتبديل الدين**» تبديله: أي تغيره .

«**كما قال تعالى** فيما ذكر عن فرعون أنه قال لقومه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾» أي أخاف عليكم من موسى أن يبدل دينكم ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ، وهذا من قبيل : "رمتني بدئها وانسلت" . هذا صنيع فرعون ، صنيع فرعون هو إظهار الفساد في الأرض ، بل أعظم الفساد في الأرض جاء على يديه وعلى يدي أمثاله ومن هم على شاكلته ، وأما موسى عليه السلام وبقية الأنبياء جاءوا بالحق والهدى وصلاح الناس وجاءُ بما تدعوا إليه الفطر السليمة والعقول السليمة ، هذا الذي جاء به موسى عليه السلام ، لكن هؤلاء من أجل التنفير والصد عن الحق والهدى يقولون مثل هذا الكلام ، قال ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى:

السابعة والستون: رميهم اياهم بانتقاص الملك كقولهم ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] .

****

الشاهد من الآية قوله ﴿وَيَذَرَكَ﴾ أي يتركك ويلغي مكانتك ومنزلتك ، وهذا فيه انتقاص لك وحط من شأنك وقدرك . فهذه من طرائق هؤلاء ، من طرائق هؤلاء : رمي أهل الحق بانتقاص الملك مثل ما جاء في هذه الآية ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والستون: دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١] **مع تركهم إياه .**

****

ثم ذكر المسألة الثامنة والستون : «**دعواهم العمل بما عندهم من الحق**» ؛ هذا ادَّعاء ، لكن من حيث الواقع العملي خلاف ذلك ، يدَّعون أنهم يعملون بالحق الذي عندهم لكن في حقيقة الأمر حتى الحق الذي عندهم هم مضيِّعون غير عاملين به . قال: كقولهم ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهم في الواقع حتى الذي أُنزل عليهم مفرطين فيه ولهذا قال المصنف : «مع تركهم إياه» .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والستون: الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

****

«**التاسعة والستون: الزيادة في العبادة**» ؛ أي الزيادة على حد المشروع ، على حد ما شرع الله لهم.
«**كفعلهم يوم عاشوراء**» أي يوم العاشر من محرم ، ويوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أهلك الله سبحانه وتعالى فيه فرعون وجنوده بالغرق ،ولهذا كان اليهود يصومونه ، صامه موسى عليه السلام شكراً لله تبارك وتعالى وكانوا يصومنه شكرا لله ، لكنهم لم يكتفوا بذلك أتوا بأعمال كثيرة يفعلونها في ذلك اليوم هي لم تشرع لهم ، ليست مشروعه لهم يفعلونها في ذلك اليوم يوم عاشوراء زائدة عن الحد الذي شُرع لهم مما جاء في دين نبي الله موسى عليه السلام . ولما بُعث النبي عليه الصلاة والسلام ووجد أن اليهود يصومونه وسأل عن ذلك وقيل له فقال عليه الصلاة والسلام : ((نحن أحق بموسى منهم)) وصامه عليه الصلاة والسلام وأمر بصيامه ، وأمر أيضا بمخالفة اليهود في ذلك قال: ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)) ؛ يصوم العاشر شكراً لله على إغراقه لفرعون في ذلك اليوم ، ويصوم التاسع من أجل مخالفه اليهود. فصيام التاسع والعاشر من شهر محرم من

سنة نبينا عليه الصلاة والسلام أن يصوم المسلم التاسع من شهر محرم والعاشر من شهر محرم ، صيام العاشر شكر لله تبارك وتعالى على ما أنعم جل وعلا به وأكرم عز وجل ، وصيام التاسع من أجل المخالفة .

والشاهد أن هؤلاء من جاهليتهم الزيادة في العبادة أي على حد المشروع ؛ فيوم العاشر من محرم يمارسون فيه أعمال غير مشروعة ولا دليل عليها من كتاب الله ولا من سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

ثم أن الله عز وجل قد ابتلى الناس في يوم العاشر من محرم ببلوى ألا وهي: قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ظلمًا ، قتل في هذا اليوم في يوم العاشر من محرم ، وقتله ظلم وعدوان رضي الله عنه وأرضاه ، قد قال عنه عليه الصلاة السلام وعن أخيه الحسن : ((سيدا شباب أهل الجنة)) ، ومكانه الحسن والحسين معروفه عند أهل العلم وأهل السنة وأهل الفضل ؛ فهم من الصحابة الأخيار ومن آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ولهما مكانتهما العلية ومنزلتهما الرفيعة ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يبتلي الناس بأن يُقتل الحسين رضي الله عنهً ظلما في يوم العاشر من محرم ، فكان قتله في ذلك اليوم باب فتنة وابتلاء ، فمن الناس من جعلوا ذلك اليوم في كل عام على مر التاريخ يوم مأتم وإظهار للحزن ويوم حزن ويوم لطم للخدود وشق الجيوب وعمل بإعمال أهل الجاهلية مما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى ولم يأذن لعباده به ، ونسوا ما شُرع لهم في هذا اليوم . اليوم في خضم الدخول في هذا الأمور نسوا المشروع في ذلك اليوم ، وربما لو قيل لبعضهم ماذا يشرع للمسلمين في يوم عاشوراء؟ ربما لا علم لهم بذلك وليس عندهم منه خبر لاشتغالهم بهذا الأمر .

وقابل هؤلاء لرد بدعتهم وضلالهم ببدعه أخرى جعلوا يوم عاشوراء يوم توسعة ويوم فرح ويوم أكل وشرب وتوسعة على الأولاد والحلوى إلى آخره ؛من اجل رد على بدعه هؤلاء . وهذا خطأ وهذا خطأ ، ولا يتعبد لله سبحانه وتعالى بالأهواء وبالمحدثات وإنما يتعبد لله تبارك وتعالى بما شرع ، ولهذا يوم عاشوراء تمارس فيه أمور وممارسات كثيرة كلها لم يأذن بها الله وليست في دين الله ولا في دين نبيه عليه الصلاة والسلام، والذي يشرع لنا في يوم عاشوراء أن نصومه شكرا لله ، وان نصوم معه اليوم التاسع من أجل مخالفة اليهود وأن نكون على الطمأنينة وعلى العبادة وعلى القيام بطاعة الله سبحانه وتعالى بما شرع لنا وبما أمرنا تبارك وتعالى به.

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد واله وصحبه أجمعين .